الأجوبة الشرقية
على
التساؤلات اليمنية

لأبي عبدالله
الحسين بن موسى اللحيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه الأوفياء المتقين ، أما بعد :

هذه مجموعة أجوبة تساؤلات بعض الأخوة من اليمن أسأل المولى عز وجل أن يفتح بتيسيره للإجابة عليها بما يرضيه وينفع هؤلاء الاخوة وغيرهم من طلاب الحق ، الذين تتوق أنفسهم لكشف ما التبس وخفى من معاني بعض الأخبار التي نصت على ذكر مهدي الرحمن آخر الزمان ، تلك الأخبار التي تداخلت معانيها بعضها ببعض كما تداخلت مع زيادات الرواة وتهاويل القصاص ممن هب ودب من الكذبة والصادقين على مر الأزمان حتى تُركت أحاديث المهدي وقد جمعت ما بين تخاليط هؤلاء وصادق الأخبار في سيرته ما يتعذر معه تمييز الكثير من صحيح وضعيف وموضوع تلك الأخبار ، وزيد على هذا تحكمات الأفهام لحقيقة تأويل الكثير من تلك الأخبار على غير بصيرة وهدى من العزيز الجبار .

وملاك الأمر بجملته أن تأويل أمر بعث مهدي الله تعالى مرده لله جل ثناءه ، وأن الكشف عن كنهه ليس هو مما يرجع لبصيرة واجتهاد أياً كان ولا حتى المهدي نفسه ، وإنما مرد ذلك يعود لله تعالى وحده فهو الذي يهيئ ويفتح أبوابه ، من غير مشورة أحد ولا بصيرة مجتهد ، بل إليه تدبير الأمر والفصل في تعيين عينه وعصره .

الفصل الأول

قال الأخ اليمني الفاضل مسترشداً حفظه الله تعالى ووفقه ، الآتي :

السؤال الأول : ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لتملأن الأرض جوراً وظلماً فإذا ملئت جوراً وظلماً يبعث الله رجلاً مني اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي ، فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جورا وظلما ، فلا تمنع السماء شيئا من قطرها ولا الأرض شيئا من نباتها ، يمكث فيكم سبعا أو ثمانيا ، فإن أكثر فتسعا)[1]. قال : ما صحة هذا الحديث بالتفصيل ، وإذا كان صحيحاً ، فالمعروف عندنا أن الذي يبعث عند الظلم والجور هو أنت وليس النبي صلى الله عليه وسلم ؟ .

أقول : جميع ما روي وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر من يبعث آخر الزمان واسمه على المواطأة مع اسم النبي واسم أبيه ، إنما يراد بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه وإن جهل الكثير من الناس هذه الحقيقة ، فهي المرادة بجميع ما ذكر في خبر المهدي وأن اسمه يواطئ اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يضر في ثبوت هذا الأمر حقيقة وقدرا جهل الكثير لها ، بل الأمر فيها كما في أكثر النبوءات الأصل فيها الإخفاء ، وقد أشار القرآن الكريم إليها في أكثر من موضع مثل قوله سبحانه : ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى

---

(1) أخرجه البزار في مسنده والطبراني في الكبير والأوسط عن قرة بن إياس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي آخره ولم يذكره اليمني : يعني سنين . وتحتاج هذه اللفظة إلى تعليق لما لها من أهمية تتعلق بلفظ حديث أبي سعيد وعلي وأبي هريرة ، وسيأتي ذلك لا حقاً في آخر هذا الفصل إن شاء الله تعالى .

معاد ﴾[2] روى بعضهم عن مجاهد في هذه الآية قوله : يرد إلى الدنيا حتى يرى عمل أمته[3] . وقال قتادة : كان ابن عباس يكتم تفسير هذه الآية[4] .

وهذا لا ينقض ما روي عنه في هذه الآية قوله : أنه يرد إلى مكة ، ولا منافاة في هذا على الصحيح لكتمانه تفسيرها ، لأن رجوعه آخر الزمان سيكون إلى مكة ومن هناك يتحقق ظهوره العظيم المنصور لعامة الناس ، ويحمل كتمان ابن عباس تفسيرها ، على ترك الإفصاح عن تفاصيل هذا الأمر والله تعالى أعلم ، وقد عرف من منهجه في التفسير رضي الله عنه أنه يكتم تفسير بعض الآيات من القرآن [5] ، وذلك إما لعدم قدرة الناس على إدراك حقيقة تأويلها ، أو لأنه مما لا يعلم تأويله إلا الله تعالى ، أو لغير هذا من أسباب دعته لكتمان تفسيرها والله أعلم .

وفي الباب أيضاً قوله تعالى : ﴿ ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ﴾[6] وقوله : ﴿ قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون . فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون ﴾[7] ، وغير هذا كثير في كتاب الله عز وجل ، كما لا تخلو سنته أيضا عليه الصلاة والسلام من

---

(2) سورة القصص (85) .

(3) ذكره الذهبي في الميزان (8 / 640) .

(4) تفسير ابن كثير (3 / 444) ، والفتح لابن حجر (8 / 510) .

(5) راجع تفصيل ذلك في كتاب (فتح المنان) الذي رددت فيه على منافق بريدة الحميد ، وبينت فيه مدى كذب وتلبيس ذلك المنافق على الدعوة المهدية .

(6) سورة النحل (89) .

(7) سورة السجدة (29 – 30) .

الإشارة لهذا المعنى كقوله : (ليدركن الدجال من رآني)[8] وقوله أيضاً : (إن يخرج وأنا حي فأنا حجيجه)[9] قال بعضهم : لعل هذا منه عليه السلام قبل أن يوحى له في أمر الدجال . وهذا غير صحيح بل هو يعلم عليه السلام عن أمر الدجال ومتى يكون ، وما خرج هذا منه إلا على سبيل الإشارة والرمز الخفي لإدراكه هو للدجال ، ألا تراه يقطع بإدراك الدجال لمن قد رآه وسمع كلامه وقد مضى أصحابه ولم يدركوا الدجال فتعين أن هناك عودة له يتمكن الناس فيها من رؤيته وسماع كلامه ، وهؤلاء هم الذين جاءت الإشارة بإدراكهم للدجال .

ومن الثابت الآن في أصول الدعوة المهدية أن عودة رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبقها بعث رجل من ذريته على اختلاف من الناس وزلازل[10]، ونص رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لقبه سيكون السفاح ، وأن من صفاته أنه يحثو المال لا يعده في العطاء ، وهي من أشهر صفات المهدي ، وهذا أمر أيضا جهل الناس معرفة مدى ثبوت صحته شرعا ، وأكثرهم اليوم على إنكار بعث رجل من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الزمان هذه صفته ويكون لقبه السفاح ، وهذا كله من التخاليط التي دخلت على الناس في خبر المهدي ما دعاهم لطرح الأحاديث التي نصت على خبر هذا الرجل ظنا منهم أنها في بني العباس الكذبة ،

---

(8) راجع نهاية الفتن لابن كثير (1 / 98) ، وروى عن أبي عبيدة عن رسول الله ﷺ بلفظ : (لعله يدركه من رآني وسمع كلامي) . رواه أحمد (3 / 223) ، وأبو داود والترمذي وغيرهم .

(9 9 رواه عبد الرزاق في المصنف (11 / 392) من حديث أسماء بنت يزيد الأنصاري ورواه الطبراني والحاكم عن جبير بن نفير عن أبيه عن جده رفعه ، وعند مسلم عن جبير بن نفير عن النواس بن سمعان . قال الحافظ : إن كان محفوظا فيكون عند جبير بن نفير عن شيخيه . الإصابة (368/6) .

(10) نقل المهدي ثبوت تواتر الزلازل بعد خروج المبشرين بدعوته لجزيرة العرب على وفق أمر المصطفى في المنام في كتاب (البيان الثاني لرد فرية الجاني) وكتاب (المهدية في إخساء الخالدية) .

وقد جرّ عليهم هذا الجهل والظن ما لا تحمد عقباه من تفويت تصديق أخبار نبيهم عليه الصلاة والسلام ، ووقوعهم بتكذيب تلك الأخبار ، وهذا يعود بهم في نهاية الأمر إلى تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه إذ أنه هو الذي نص على أخبار وصفات هذا الرجل من ذريته وصرح بأن بعثه إنما يكون آخر الزمان لا في زمان بني العباس ، وما فعله بنو العباس ما هو إلا أن يكون هذا السفاح فيهم وقد كذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته بذلك الإدعاء ، والثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن خروجه يكون آخر الزمان وليس بعد سلطان بني أمية ، كما زعم ذلك وادعاه بنوا العباس الكذبة ، ويكشف كذبهم هذا عدم نزول عيسى عليه السلام على مهديهم المزعوم ولا خرج الدجال في عصره ، والأمة مازالت من بعدهم بشر وبلاء وفتن ومحن .

هذه المقدمة ضرورية قبل الإجابة على هذا السؤال عن الحديث المذكور ، الذي أوجس من لفظه صاحبنا العزيز خلطا بين المهدي مُحَمَّد بن عبد الله الذي كما قلت ما هو إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين حفيده السفاح . وما فهمته أنا من خلط ما بين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفيده في لفظ هذا الحديث غير ما فهمه الأخ السائل ، واشترط له صحة الحديث ووقفه عليه .

والذي أراه أن وجه اللبس على السائل هو ما ورد في الحديث من ذكر امتلاء الأرض جورا وظلما قبل مبعث مُحَمَّد بن عبد الله ، وهذا لا لبس فيه على الصحيح والأمر في ذلك نسبي ، فكما أن في انقضاء ولاية السفاح زوال الضمانة لبقاء القسط والعدل مثل ما عليه الحال في زمن ولايته التي بانقضائها تعود

الاضطرابات والفتن ما يكون في ذلك سببا لانتشار الظلم والجور ، مثل كذلك أيضا بعد خروج وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الزمان سيطبق على الأرض ما عدى المسجدين والأقصى ظلم وجور وكفر الدجال مع وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الفترة ، بل إن خروج الدجال سيعقب خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الزمان ، وعلى هذا لا يستبعد أن يعقب السفاح كما قلت انتشار الظلم بعد العدل ، ثم خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم مباغتة غير سارة لأعداء الله عز وجل ، ولذا ستقع عند خروجه اضطرابات كما أشير لها في أحاديث جيش الخسف كما سيأتي تفصيل ذلك في الفصل الثالث ، وهكذا كَرٌّ وفَرٌّ على سنة التدافع مما يمتحن الله به عباده ليعرف الصادق من الكاذب .

وهذا الذي عده الأخ وجه الإشكال لا إشكال فيه على الصحيح ، وليس بهذا الفهم يكون الحكم على ألفاظ الأحاديث ، وهل أضر بأحاديث المهدي إلا مثل هذه الأفهام التي لا ترجع إلى أصول تضبطها ، بل كل يخبط من جانبه ، ويأتي من لَحظه حتى عادوا في فهم وإدراك حقيقة أمر المهدي ودعوته ، بطلاسم وجهالات لا تمت إلى حقيقة أمره بصلة .

وما استشكله السائل من ذكر الظلم والجور في لفظ هذا الحديث وأنه يسبق خروج المهدي مُحَمَّد ورد ذكر مثله من غير هذا الطريق ، وهو حديث ابن مسعود ولفظه : (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، يملأ الأرض قسطا وعدلاً كما ملئت ظلما وجورا) أخرجه أبو داود وابن حبان والطبراني والبزار بأسانيد كثيرة

مدارها على عاصم بن أبي النجود ، وهو رجل صالح أشد ما قيل فيه أنه يخطئ في بعض حديثه ، ولم يُثبِت أحد أن هذا الحديث منها ، وإن كان منه خطأ هنا لا يمكن أن يكون إلا فيما سأل عنه اليمني هنا ، والأمر في ذلك والحمد لله تعالى يسير على ما سبق بيانه ، والمشكل الحقيقي في متن الحديث المسؤول عنه أنه جمع ما بين لفظ حديثين كل منهما في ذكر سيرة غير ما يعني الحديث الآخر ، ولا غرابة في هذا ورواته ليسوا من أهل الضبط والإتقان وسيأتي لا حقا إن شاء الله تعالى الكلام على رجال إسناد هذا الحديث .

وقد جمع متن الحديث ما بين حديث لابن مسعود وحديث لأبي سعيد الخدري ، فأما حديث ابن مسعود قوله : (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجل مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا) رواه أبو داود في سننه عن عاصم بن أبي النجود عن زر عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ، وهو حديث صحيح تكلم في سنده بعضهم ولا يلتفت لقوله ، فسوء حفظ الراوي من غير مخالفة لا يسقط متن الحديث بمجموعه ، فسوء الحفظ شيء والكذب شيء آخر .

ومن تكلم في سند هذا الحديث إنما أراد التوصل لإبطال صحة الاعتقاد بخروج ونصرة المهدي آخر الزمان ، والناقد لسند هذا الحديث هو بنفسه منقودا في إيمانه وتصديقه لصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو لم ينظر لهذا الخبر بعين الإيمان ، بل نظره بعين التاريخ والتجربة وسنة البشر الطبيعية ، وقد أخطأ في هذا خطأ عظيما وجهلا مزريا حين حمل أمر بعث المهدي وتمكينه آخر الزمان على سنن

هؤلاء المتغلبين الطامعين منزلا أمر المهدي منزلة أمر هؤلاء في طلب الحكم وحاكما عليه بحكم سنتهم ، وفي هذا منه تحكيما للعقل ومضادة للإيمان الواجب بتصديق جميع ما أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كائن آخر الزمان ، وهذا لا شك قدح في الإيمان بالغيب وتحكم بغيب الله تعالى ، فالتمكين للمهدي آخر الزمان إنما يكون بتدبير الله وعدله لا بتدبير الناس .

وقد فات هذا الجاهل المتحكم ، أن هذا التدبير من المولى عز وجل للمهدي وأمره ، مما فات إحكام أصوله وإتقان فصوله قبل أن يخلق هذا الناقد نفسه بقرون طويلة جدا ، وما من نبي ورسول إلا ما شاء الله ويؤكد على أخبار هذا البعث والتمكين ، من إبراهيم الخليل وقبله إدريس الجليل وبعدهم موسى وداود وعيسى ودانيال وغيرهم كثير ، يؤكدون على صحة نبأ هذا الأمر العظيم الجلل ، وقد جعل الله لهذا الأمر من المواطأة في رسالات ونبوءات الأنبياء في أخبارهم ، ما لا يمكن بحال إلا الإقرار به من جميع المنتسبين لهؤلاء المؤمنين بذكرهم ، حتى إذا ما وقع تفاصيل تلك الأنباء وتحقق صدق تلك النبوءات مما ذكر عندهم من تمكين لهذا الرجل آخر الزمان أقر الجميع وأيقنوا صحة أمره ، وعلى هذا سيكون مرد الأمر إلى الله جل ثناؤه لا لعصبة ولا لنصرة شعب أو قبيلة ، بل مرده للإيمان بصدق كلام الله ورسله وتدبيره وكيده ، لا مدخل لسنة المتغلبين على الملك في هذا الأمر حتى تجعل حاكما عليه .

قال صاحب النقد في مقدمته المشهورة بعد بسطه القول في أحاديث المهدي ، وتفصيله الكلام في بعض رجال أسانيد تلك الأحاديث ، وبعد ذكره لأقوال

واعتقادات المتصوفة الزائفة في خبره ما يلي : كل أمر تحمل عليه الكافة فلا بد له من العصبية ، فأحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزحزحها ويهدم بناؤها إلا المطالبة القوية التي من ورائها عصبية القبائل والعشائر[11].

وقال أيضا : والحق الذي ينبغي أن يتقرر لديك ، أنه لا تتم دعوى من الدين والملك إلا بوجود شوكة عصبية تظهره ، وتدافع عنه من يدفعه حتى يتم أمر الله فيه ، وقد قررنا ذلك من قبل بالبراهين القطعية التي أريناك هناك . وعصبية الفاطميين بل وقريش أجمع تلاشت من جميع الآفاق ووجد أمم آخرون قد استعلت عصبيتهم على عصبية قريش إلا ما بقي بالحجاز ، في مكة وينبع والمدينة من الطالبيين من بني حسن وبني حسين وبني جعفر ، منتشرون في تلك البلاد وغالبون عليها ، وهم عصائب بدوية متفرقون في مواطنهم وإماراتهم وآرائهم يبلغون آلافا من الكثرة ، فإن صح ظهور هذا المهدي فلا وجه لظهور دعوته إلا بأن يكون منهم ، ويؤلف الله بين قلوبهم في اتباعه حتى تتم له شوكة وعصبية وافية بإظهار كلمته وحمل الناس عليها ، وأما على غير هذا مثل أن يدعو فاطمي منهم إلى هذا الأمر في أفق من الآفاق من غير عصبية ولا شوكة إلا مجرد نسبه في أهل البيت ، فلا يتم ذلك ولا يمكن ، بما أسلفناه من البراهين الصحيحة اهـ[12].

أقول : إن التصديق بظهور المهدي وتمكينه آخر الزمان ، واجب على كل مسلم ولا يصح أبدا التشكيك بذلك لا بحجة موازين العادة ولا غير ذلك ، ومن

---

(11) المقدمة لابن خلدون (279) .

(12) مقدمة ابن خلدون (582) .

الجهل بحق تحكيم ذلك في صحة وصدق تحقق بعثه إذ أن الله تعالى هو الذي قطع بالوعد بتمكينه وتوريثه ومن معه جميع الأرض قال تعالى : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾[13] وقال جل ثناءه في ذلك أيضا : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ﴾[14] .

وهكذا ستكون خلافة المهدي في الأرض بتعيين الله تعالى ونصرته ، لا بشوكة من قبيلة ولا شعب ولا حزب ولا دولة بل قضى الله أن يكون سلطانه بسلطة الله نفسه وبتدبير منه ، وهذا هو السر بإضافته إلى المولى عز وجل كما ورد في بعض الأحاديث[15]، واستخلافه سيكون على سنة الاستخلاف في بني إسرائيل كما جاء في هذه الآية : ﴿ كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ والكاف هنا للتشبيه ، ويشهد لهذا المعنى حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهدي بلفظ : (لا تقوم الساعة حتى يستخلف رجل من أهل بيتي)[16] .

والمهدي غير مسبوق بخلافة شرعية ليصح استخلافه ممن سبقه وإنما الاستخلاف هنا له من الله تعالى . ومن هذا الباب ما جاء عن أبي هريرة عن رسول

---

(13) سورة الأنبياء (105) .

(14) سورة النور (55) .

(15) منها حديث حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (فإن رأيت يومئذ خليفة لله فالزمه) ، وحديث ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (فإنه خليفة الله المهدي) .

(16) أخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان (1/ 84) نقلا عن رسالة البستوي في تحقيق أحاديث المهدي (1/ 297) راجع في زيادة تفصيل موافقة استخلاف المهدي لسنة الاستخلاف في بني إسرائيل كتابي فتح المنان (103) وكتاب تعبيد الموارد (40) وكتاب التفصيل النفيس (44) .

الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله لم يبعث نبيا ولا خليفة ..)[17]. وذكر البخاري في الصحيح معلقا عن أبي أيوب الأنصاري رفعه بلفظ : (ما بعث الله من نبي ولا بعده من خليفة ..) . جعله قرينا في البعث مع النبي صلى الله عليه وسلم ، لعظيم شأن هذا الخليفة ، وهو بهذا ليس كسائر الخلفاء . ورواه البخاري عن أبي سعيد الخدري مرفوعا بلفظ : (ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة) .

وقد استشكل الحافظ ابن حجر لفظ الحديث من طريق أبي هريرة وأبي أيوب الأنصاري ، لقوله ببعث الخليفة في هذه الأحاديث ، وقال : لفظ الرواية عن أبي سعيد تفسر المراد بهذا ، وأن المراد ببعث الخليفة استخلافه اهـ[18] .

قلت : الاستخلاف والبعث في هذه الأخبار المعنى والمراد في ذلك سواء لا فرق بينهما ، وكل ذلك لا يكون إلا من الله تعالى مثل ما هو في النبي هو في الخليفة كذلك ، ومن الخطأ حمل الأمر في الخليفة هنا على العموم ، ولذا لما استشكل ابن حجر القول ببعث الخليفة ، لاذ بلفظ الحديث عن أبي سعيد . في الاستخلاف . ، وأبو سعيد نفسه رضي الله عنه روي عنه في أخبار المهدي على كلا الوجهين ، سواء بالاستخلاف ومراده أن المستخلف الله تعالى ، وسواء بالبعث ومراده أن ذلك لا يكون إلا من الله تعالى ، وعلى هذا فالحافظ لاذ بما هو عليه لا له !! .

---

(17) رواه البخاري في الأدب المفرد وعنه الترمذي في سننه وصححه .

(18) الفتح (15 / 99) .

ويجدر هنا التنبيه على ما ورد في آية الاستخلاف المذكورة في سورة النور من ذكر الخوف ، وهو الوصف المطابق لحال عباد الله الصالحين في جميع أصقاع الأرض اليوم ما يصح اعتباره من أمارات قرب تحقق التمكين في الأرض للمهدي ، لمطابقة إخبار الآية لواقع حال هؤلاء الصالحين المضطهدين ، الذين نسأل الله تعالى القادر على كل شيء أن يكون فرجهم قريبا وليس بعيدا .

وإذا كان ابن خلدون يستبعد قيام أمره في السابق لانعدام شوكة العلويين الهاشميين واضمحلال عصبة قريش كما قال ، فهي اليوم آكد اضمحلالا ، بل لا وجود لها أصلا ولا لقريش ، ففي جميع الأصقاع لا تجد لقرشي و لا للهاشمي عصبة ولا شوكة خاصة بهم ، بل القائم اليوم بدلا عنها ما هو إلا أشر عصب وأخبث حميات قامت تحت السماء من أحزاب الدول والشعوب ومنظمات القارات ، ما لا يمكن بأي حال من الأحوال قيام أمر المهدي وحمل الكافة على طاعته ، ومن زعم أن بمجرد إيمان القلة هنا أو هناك ، أو بإخلاص وصدق وفراسة بعض المشايخ هنا أو هناك [19] يقوم بذلك أمر المهدي وخلافته مع مضادة الأحزاب والشعوب والدول لحقيقة أمره ، فقد كذب وأعظم الفرية على غيب الله وأمره ، كيف يكون وقد نزع من أكثر الناس وازع الخوف من الله والرغبة بلقائه ، واستمرأ أكثرهم الكثير من الفسق على دين الله تعالى والعربدة بالمعاصي والفجور ما يدعوهم لكره قيام أمره أصلا ، وهو لن يقوم إلا على حرمانهم مما اعتادوا عليه من كفر وفسوق وفجور . كما أن رسول الله ﷺ إنما قطع في أن خروجه يقع عند الفتن والاختلاف وكثرة الأشرار وقلة الأخيار مع ضعفهم ، فأين له عصبة وشوكة والحال هكذا ،

(19) كما زعم ذلك منافق بريدة الحميد في رده على الدعوة المهدية .

وأمره بديهة لن يقوم إلا لنصرة دين الإسلام النصرة التي يلزم لقيامها زوال شوكة هؤلاء وتسلطهم .

أبدا لن تقوم للمهدي وأمره قائمة إلا بأمر من الله وبفرض من قدرته يتعطل بسلطانها اختيار كل أحد سواه وقدرة أيا كان سواه ، وبغير هذا لن يتم للمهدي أمر ، ومن السذاجة حقا ما عليه اعتقاد الكثير من المصدقين لخروجه إذ ظنوا أنه بمجرد دعوى أحد ما أنه المهدي أو دعوى أحد له ذلك أيا كان وبأي منزلة دينية سيكون سيتم أمره ، أبدا لن ينفع مع هذا الواقع المترامي بالشر هذا الأمر على هذا الوجه الساذج البسيط ، فلو سلمت قبيلة ذلك منعت الدولة منه ، ولو سلمت الدولة ذلك منعت سائر الدول ، وإن سلمت سائر الدول ذلك منع تحالف الكفر منه ، فهل للأمة العربية البائسة جمعاء قدرة مع تحالف الكفر والشر العالمي اليوم ، كيف يكون والعرب اليوم ما هم إلا غثاء كغثاء السيل ، أحبوا الدنيا وكرهوا الدين والطاعة فيه ، لا والله ليس لهم ذلك ، ومن قال بغير هذا فهو كاذب جاحد للحقائق ، ولم يخالف هؤلاء أصحاب هذا الاعتقاد الساذج إلا فريقين :

الفريق الأول : من قال لا يمكن إلا أن يقع أمر خارق للعادة يدل على عينه حينها يتم اجتماع الأمة عليه ، وأرادوا بالأمر الخارق هنا الخسف الذي يقع بين مكة والمدينة حين خروج رجل من قريش عائذا بالحرم يدعي له البعض أنه هو المهدي المراد بالأحاديث وهذا اعتقاد باطل مزلقته عظيمة زل فيه جهيمان العتيبي ، ومن قبله ابن الزبير رضي الله عنه حين لاذ وتترس بالحرم ظنا منه غفر الله له أنه المراد بالعائذ بالحرم الذي يخسف بجيش أعدائه بين مكة والمدينة ، وسيأتي لاحقا عند

الكلام على حديث أم سلمة رضي الله عنها في خبر جيش الخسف في الفصل الثالث زيادة في إيضاح هذا عن ابن الزبير ، وقد كان هذا منه مع صحة ولايته إلا أنه طمع أن يكون هو المراد بالعائذ ولم يكن ، وهذا الاعتقاد بان بطلانه لما يترتب عليه من مفاسد أبان التاريخ عنها ، وظهرت منافاته للحكمة والعقل ، وسيأتي بحول الله زيادة تفصيل في بيان ما يترتب من مفاسد على هذا الاعتقاد عند الكلام على حديث أم سلمة .

والفريق الثاني : من قال : نعم لا يمكن للأمة أن تجتمع على أمره وتسلم بطاعته وتنقاد لنصرته والجهاد معه إلا بعد أن تتيقن عينه ، ولا يمكن لهذا أن يكون إلا بوقوع أمر خارق للعادة لا يختلف فيه اثنان أنه من الله تعالى ما يتم من خلاله معرفة وتيقن أن هذا المعين هو المهدي الذي أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبره ، وبغير هذا لن يقوم للمهدي أمر ولا يتحقق خبر . ومرادهم بالخارق هنا آية النداء بإسمه من السماء مع ما يلقى على ذاته بسبب ذلك من المهابة والفصل الحق ما لا طاقة لأحد برده عنه ما يتم به أمره وتجتمع عليه الأمة ويقوم سلطانه وتعرف مشروعيته ويبطل سلطان كل أحد سواه . وسيأتي بحول الله تعالى مزيد في تفصيل حقيقة هذا الأمر في مكانه المناسب عند شرح حديث أم سلمة في خبر جيش الخسف في الفصل الثالث .

ولجميع هؤلاء أقول : أنه مثل ما بعث موسى بخلاص اليهود المستضعفين من سلطان فرعون وأنجاهم الله بآياته العظيمة الباهرة ، كذلك سيكون الحال في بعث المهدي غياثا لهؤلاء المستضعفين من هذه الأمة ، وستكون نصرته بخلاصهم بآيات

من الله عز وجل باهرة عظيمة كما كان الحال بزمان موسى عليه الصلاة السلام أو أكثر ، بل قطع أحبار اليهود في اعتقاداتهم أن الخلاص الذي سيقع آخر الزمان سيكون أعظم من الخلاص في زمان موسى وإليه أشار تعالى في قوله : ﴿ فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴾[20] ومن انتظر غير هذا الانتظار تعس وخاب وما له إلا الأماني الكاذبة والخيالات الساذجة ، بل ما لهم إلا الجمع بين المتناقضات وترجي المحالات .

وبالعودة إلى الكلام على لفظ الحديث المذكور في سؤال الأخ اليمني أقول :

قد جمع لفظه ما بين لفظ حديث ابن مسعود وحديث أبي سعيد . أما حديث أبي سعيد يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقوله : (لتملأن الأرض جورا وظلما ، فيخرج رجل من عترتي ، فيملك سبعا أو تسعا ، فيملأ الأرض عدلا وقسطا ، كما ملئت جورا وظلما)[21] رواه الحاكم عن حماد بن سلمة عن مطر الوراق وأبي هارون العبدي عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد ، وفي لفظ سليمان بن عبيد عن أبي الصديق قوله : (يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحا وتكثر الماشية وتعظم الأمة ، يعيش سبعا أو ثمانيا ، يعني حججا) . رواه الحاكم أيضا .

---

(20) سورة الأنبياء (87 – 88) .

(21) رواه أحمد في المسند (3 / 70) .

وقوله هنا : يعني (حججا) نظير ما ذكر في الحديث المذكور في سؤال اليمني ، إلا أنه لم يذكره وهو قوله : (يعني سنين) ، ذكرها في روايته لحديث داود بن المحبر ، الحارث بن أبي أسامة في مسنده وإغفال هذه الزيادة مخل لما لذكرها من فائدة ، وأزيد هنا كذلك أن في رواية الحارث بن أبي أسامة ولفظه هو اللفظ بعينه الذي ذكره اليمني بسؤاله إلا أن فيه : (بعث الله تعالى رجلا مني اسمه اسمي أو اسم نبي يملأها قسطا وعدلا ..)[22] . والشك هنا مما يثبت ضعف هذه الرواية واضطراب نقلتها ، فكيف يعتمد بمثل هذا اللفظ في الاستدلال .

وكما قلت إغفال اليمني لذكر السنين في لفظ الحديث مخل ، فلذكرها فائدة قصوى في تحقيق الألفاظ وتحري الضبط والإتقان ، وقد روى لفظ حديث أبي سعيد البزار والطبراني في معجمه كما ذكره السائل في سؤاله إلا أنه عن أبي سعيد وفيه : يلبث سبعا أو ثماني أو تسعا ، وقال يعني سنين .وهذا وهم لا شك فيه وسيأتي لاحقا إثبات ذلك مع بيان وجه الخطأ في قول من قال أن معنى السبع أو الثمان أو التسع ، السنين أو الحجج .

روى عبد الرزاق في المصنف عن أبي سعيد قال : (ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلاء يصيب الأمة ، فيبعث الله رجلا من عترتي فيملأ الأرض قسطا كما ملئت جورا ، ولا تدع السماء من قطرها شيئا إلا صبته مدرارا ، ولا تدع الأرض من

(22) ذكره في المطالب العالية (4 / 342) ، وعند الطبراني في الكبير (19 / 32) ، والأوسط وفيه اسمه اسمي فقط ومن غير ذكر المطر .

مائها شيئا إلا أخرجته ، يعيش في ذلك سبع سنين أو ثمان أو تسع سنين)[23].

وهذا هو المشهور من حديث أبي سعيد ذكر السبع وإنزال المطر ، وكل من زاد على ذكر السبع ثمانيا أو تسعا فقد صاح على نفسه بعدم الضبط والإتقان ، أما من زاد على ذلك من كيسه ذكر الحجج أو السنين فهو لم يعدم في نقل هذا الحديث الضبط والإتقان فقط ، بل يعد بذلك متقولا على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ولم يؤدي الرواية كما سمعها بل زاد فيها ما أفسد معناها ولبس على الكثير في تأويلها ، ورحم الله تعالى أبا هريرة رحمة واسعة ما آمنه على حديث المصطفى عليه الصلاة السلام وأتقنه ، حين روى في ذكر تلك السبع ولم يتجاوز ما حُدَ له في ذكرها ، فقال : حدثني خليلي أبو القاسم فقال : (لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من أهل بيتي فيضربهم حتى يرجعوا إلى الحق) قال : قلت : وكم يكون ؟ قال : (خمسٌ واثنتين) .قال : قلت : ما خمسٌ واثنتين ؟ قال : لا أدري [24].

قال بعضهم ناقدا متن هذا الحديث جهلا منه : كيف يتصور أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول يكون خمسا واثنتين ثم لا يدري ما خمس واثنتين ؟ بينما قد ورد بروايات أخرى ثابتة أنه قال يملك سبع سنين ، وفي بعضها بالشك من الرواة اهـ [25].

---

(23) المصنف (11 / 371) .

(24) مسند أبي يعلي (12 / 19) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (315/7) .

(25) الموسوعة في أحاديث المهدي للبستوي (2 / 239) .

قلت : يحتمل أنَّ قلت الأولى من أبي هريرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو من الراوي عن أبي هريرة لأبي هريرة ، أما قلت الثانية فهي يقينا من الراوي عن أبي هريرة لأبي هريرة ولذا أجابه بلا أدري ، وإذا كان فهم هذا الناقد لمتن هذا الحديث أن القائل لا أدري هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو مغفل فعلا وآية فيه إذ كيف يعقل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدري ، أما كونه جواب من أبي هريرة لسائله فلا غرابة في ذلك إذ هو فعلا لا يدري لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يفصح عن ذلك .

وزعم الناقد أن السبع مما ثبت فيها أنها في ملكه كذب وجهل أيضا ، وكل من قال بأن ذكر السبع أو على شكهم الثماني أو التسع أن ذلك في مدة ملكه فهو كاذب على رسول الله ، أو أقله أن يكون هذا من تخبطات الرواة في معنى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وأصل لفظ روايته كما رواها الحاكم في مستدركه تامة مضبوطة هي على هذا النحو : (المهدي منا أهل البيت ، أشم الأنف أقنى ، أجلى ، يملأ الأرض قسطا كما ملئت جورا وظلما ، يعيش هكذا وبسط يساره وإصبعين من يمينه المسبحة والإبهام وعقد ثلاثة)[26]. رواه عمران القطان عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه ، وروي عن أبي الصديق الناجي وفيه : (يعيش هكذا وأومأ بيده سبعا أو تسعا) . على الشك في الإشارة كذلك هنا وليس بشيء فشكهم هذا تدرج حتى صيروه فيما بعد حديثا ينسب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكل هذا باطل غير صحيح وأين لأمثال هؤلاء أن يعرفوا ما لم يعرفه

(26) المستدرك (4 / 557) .

أبو هريرة وأبو سعيد ولم يبح علي به حين سألوه عن خبر المهدي فقال : هيهات ، ثم عقد بيده سبعا ، فقال : ذاك يخرج في آخر الزمان [27].

وهنا اكتفى بالإشارة بالسبع قبضا بأصابعه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر مدة ملك ولا عيش ولا غيره مما يدل أن كل ذلك من زيادات بعض الرواة ، وانتهاء أبو هريرة إلى أن قال عن هذه الإشارة : لا أدري . يفيد عدم جواز القول بمعنى هذه الإشارة ثم ينسب إلى نص رواية أبي سعيد ، وأبو سعيد بنفسه لم يحدث عن معناها إنما نسبها بعضهم إليه ، وهذا أصل روايته كما ذكرها الحاكم ليس فيها إلا الإشارة كما رواية علي وأبي هريرة ، والرواية عن أبي سعيد من طريق عمران عن قتادة ، تفصيل الإشارة فيها يدل على الضبط ولا مدخل للشك فيها . ومن قال بمعرفته حقيقة هذه السبع وأن المراد بذلك مدة ملكه فليجبنا كيف جهل ذلك أبو هريرة ولم يفصح عنه علي رضي الله عنه وإنما اقتصر على الإشارة فقط مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر .

أما ما ورد ذكره في رواية أبي سعيد قوله : يعيش هكذا . ليس هو صريح في أن ذلك مدة ملكه ، وكل من فهم ذلك على هذا النحو فهو مخطئ ولا شك والأمر فيها مبهم .

والذي ترجح لي أخيرا والله أعلم فيما أخفي من معنى بهذه الإشارة هو أنه توقيت بعدد مخصوص معين مما يدرك زمان المهدي ، وليقيني بأن هذا ولا شك سر

(27) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (4 / 554) ، ورواه ابن سعد باختصار (5 / 97) .

من الأسرار التي تعلقت بأمر المهدي وحقيقة تأويل أمره ، فكم رددت النظر والفكر في هذا المعنى وسألت الله جل ثناؤه أن يفتح علي به ، وانتهى بي الأمر إلى ترجيح ما إن أصبت فيه حقيقة المراد بهذه الإشارة فهو برهان من البراهين على أني على الحق المبين ، وإن أخطأت في ذلك فهي زلة مني وعثرة أسأل الله أن يغفرها لي ، وما قصدي من ذلك إلا فهم أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كما يحب ويريد ربي ، ولم أبح بهذا إلا حبا مني أن يشاركني ذلك إخواني المسلمين ، وقد كان يسعني الكتمان والاحتفاظ بذلك لنفسي ، إلا أني أحببت أن يكونوا شهودي على ذلك .

فأقول : من غير المستبعد عندي أن يكون المراد بتلك الإشارة عهد وولاية رؤوس يحكمون آخر الزمان ، وبتمكين عهد المهدي وولايته يختم سلطان هؤلاء ويزول حكمهم ، والعدد سبعة هذا مجردا ، لحكمة الله وتقديره تعلقا ثابتا به لا ينكر ، مثل عدد أيام الأسبوع وعدد السماوات والأراضين ، وعدد الطواف على الكعبة وغير هذا ، ومما يجب التنبه له هنا أن هناك في اعتقاد اليهود تعلق كذلك لهذا العدد ببعث المهدي آخر الزمان ، وستجد هذا العدد مقدسا عند اليهود .

ومن أغرب ما وقفت عليه في هذا المعنى : ما ذكره أبو الفرج بن الجوزي عن أبي بكر الصولي أنه قال : الناس يقولون كل سادس يقوم بأمر الناس من أول الإسلام لا بد أن يخلع .

قال ابن الجوزي : فتأملت ذلك فرأيته عجبا ، قيام رسول الله ثم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم الحسن فخلعه معاوية ، ثم يزيد ومعاوية ومروان وعبد

الملك ، ثم عبد الله بن الزبير فخلع وقتل ، ثم الوليد ثم سليمان ثم عمر ثم يزيد ثم هشام ثم الوليد بن يزيد فخلع وقتل ، ولم ينتظم لبني أمية بعده أمر حتى قام السفاح ثم أخوه المنصور ثم المهدي ثم الهادي ثم الرشيد ثم الأمين فخلع وقتل ، ثم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر ثم المستعين فخلع ثم قتل ، ثم المعتز والمهتدي والمعتمد والمعتضد والمكتفي ثم المقتدر فخلع ثم أعيد ثم قتل ، ثم القاهر والراضي والمتقي والمكتفي والمطيع ثم الطائع فخلع ، ثم القادر والقائم والمقتدي والمستظهر والمسترشد ثم الراشد فخلع وقتل اهـ[28] .

أقول : إن تحققت هذه السنة في عصرنا هذا فأنسب ما تتحقق به في هؤلاء : عبدالعزيز ثم سعود ثم فيصل [29] ثم خالد ثم فهد وقد خرَّف وذلك آية [30] ، ثم عبدالله وهو السادس ، فهل يخلع أو يقتل ؟ . ومن يكون السابع هل هو صاحب الإشارة !!.

وبهذا يتضح مدى الخلط الذي وقع به بعض رواة أحاديث المهدي واضطرابهم الشديد في تجويد ما ورد ذكره في حديث أبي سعيد ، من إشارة لهذا

(28) تاريخ ابن كثير (12/ 229) .

(29) اعترض بعضهم بخلع سعود وقتل فيصل وليس بشيء فالأمر لم يخرج من العائلة .

(30) سبق خرفه ، في رؤى عن رسول الله ﷺ أنه سيموت ويخلفه عبدالله وهو ضعيف ، وبشرت الرؤى بأن في ذلك فرصة لأمر المهدي . وكنا يومها نجهل حقيقة تأويل هذا المنام ، ومن جهلنا أننا كنا نترقب تحقق موته ، وما علمنا تأويل هذه الرؤيا إلا بوقوع خرف فهد المبكر ، فعرفنا حينها تأويل الرؤيا وأنها إنما كانت تشير لهذا الحدث العجيب الغريب الفريد ، إذ أن حنابلة السوء السفهاء انتهوا بأن وليهم قد خرف ويكفي في هذا ثبوت سوء ما هم فيه من حال ، ضربوا فيه محكمات الشريعة وبديهيات العقول عرض الحائط وبغير حياء من الله وخلقه ، وإياهم أن يقولوا هذا كذب ما لم يخطب مليكهم لعشرة دقائق !! .

الأمر المبهم بأصابع يده الشريفة ، وما ورد عن أبي هريرة في تصريحه بعدم معرفة حقيقة المراد من ذلك يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يفصح عن ذلك وهو يحدث عن خبر المهدي وإلا لعلم ذلك أبو هريرة ولا شك .

أما بخصوص ما يتعلق بسند الحديث المذكور في سؤال الأخ من اليمن ، فمن المعروف عند المحققين أن هذا الحديث لا يصح ، فمدار إسناده على داود بن المحبر بن قحذم قال عنه الإمام أحمد رحمه الله تعالى : شبه ، لاشيء كان لا يدري ما الحديث . وقال فيه البخاري : منكر الحديث . وهذا أشد ما يأتي من البخاري في الجرح ، وذكر العقيلي هذا الحديث عن المحبر عن أبيه وقال : في حديثهما وهم وغلط [31].

(31) الضعفاء (4 / 259) .

الفصل الثاني

قال الأخ اليمني : يذكر المدعو (أمين) أن هناك (حديث صحيح) فيه قوله : (اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي ، يصلحه الله في ليلة) . ويقول : لو أنزلناه على النبي صلى الله عليه وسلم فكيف يصلحه الله تعالى في ليلة ؟ اهـ .

أقول : لا يوجد حديث ينسب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر المهدي بهذا اللفظ المذكور هنا ، وإن صح هذا الزعم المنسوب لهذا الرجل منه ، فلا شك أنه من الكاذبين على المصطفى عليه السلام الذين ينسبون له قولا لم يقله وقد توعدهم بدخول النار جراء فعلهم هذا الشنيع ، قال علي ﷺ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تكذبوا علي فإنه من يكذب علي يلج النار)[32].

ووجه الاحتجاج بمفهوم هذا اللفظ المجموع على هذا التركيب المعين المذكور هنا مما يدل على قصد المحتج السيئ ، إذ بهذا التركيب للفظ يمكنه الاحتجاج بما قال ، والذي ألجأه إلى هذا التركيب حاجته إلى الاحتجاج به لإثبات بطلان الدعوة المهدية الحقة بما يفيده مفهوم هذا اللفظ المركب ، ولولا هذا التركيب لما أمكنه ذلك ، ولذا اضطر إليه ، ويعد بهذه الفعلة كاذبا على المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وإن لم يكن هذا كذبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أدري ما هو الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(32) رواه البخاري وأحمد والنسائي وابن ماجة وغيرهم .

والذي يثبت قولي هذا أن هذا المدعو بـ(الأمين) وهو إن صح عنه هذا فما هو بأمين بل خائن زنيم بين الزنامة شديد ، إنه لن يستطيع بأي حال من الأحوال أن يعزو لفظه لأي مرجع معتمد أبدا ، وهذا سيكون كافيا في إثبات كذبه في هذا التركيب المفترى ليتمكن من ابتداع مفهوما زائفا مبنيا على الكذب توصلا لرد الحق والعياذ بالله تعالى .

والحديث المشهور إنما لفظه على التمام هو كما روي عن علي ﷺ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة) [33]. رواه جماعة ولم يذكروه بهذا اللفظ الذي لفقه كذاب اليمن الخائن وزاد من كيسه : اسمه اسمي . بقصد سيئ .

وقد انفرد بلفظ هذا الحديث على ما ذكره جماعة لا كذاب اليمن ، ياسين العجلي عن إبراهيم بن مُحَمَّد بن الحنفية عن أبيه علي ﷺ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال البخاري في هذا الحديث : في إسناده نظر . وقال العقيلي : لا يتابع ياسين على هذا اللفظ . ذكر له متابعا عند أبي نعيم والله أعلم .

وأكثر النقاد على تضعيف هذا الحديث إلا أن لي ولو ضعفوه شهادة واقعية أعتد بها على تصحيحه ، إذ ناسب معنى هذا الخبر الحال التي بُدأ بها أمري ، حين اقترن بذهني وداخلة صدري خواطر الوعظ وإلهام التذكير المتواصل المُلِح بالتخويف من الله والحث على التمسك بالدين والعبادة والحرص على اتباع

(33) رواه أحمد ، وابن ماجة ، ونعيم ، وابن أبي شيبة ، وأبو يعلى ، والبخاري في تاريخه .

الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم ، لقد كان شديد ملازما في همسه أكاد أصدق أنه بالخارج حتى أنه أصابني جراء ذلك بالهلع ، وقد نقلني نقلة شعورية وعملية أذهلت أصحابي ! ، هناك في فرانكفورت ألمانيا ! .

ووجه دلالة واقع الحال لا بمجرد تحقق الهداية والتوجه إلى الله عز وجل لا ، بل هو تحقق هذا الاقتران وعلى الفور بعد ابتداء أول سفرة لي خارج البلاد ، بقصد التمتع بالدنيا والتوسع بملذاتها ، وكان سفري لألمانيا الغربية والمقرر جولة أوروبية ، وهناك لم يمضِ علي ليالي معدودة قليلة إلا وأنا أقيم الليل من صاحبي الهامس ! أخشى الموت في ديار الخناس منشأ الأرجاس ، وأشد ما كنت أخشاه أن أموت في ديار الصلبان فينقطع الجثمان على غير ما يرضي الرحمن .

وما كنت أرى إلا طلائع الخيل تطل من مدينة المصطفى وكلي تشوق لمعرفة كيف هي عليه المنازل في تلك الأزمان ، وكيف أحد شامخ وهي ساكنة بجانبه . هناك في ألمانيا ما كنت أدري هذا الحديث ولم أقف بحياتي ولا لحظة على حديث ياسين العجلي هذا ، وأما اليوم فله شهادة مني لا تزحزح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله لا شك في ذلك ، ولعن الله تعالى كل من زاد عليه ما زاد هذا الرجل المدعو بـ(أمين) .

الفصل الثالث

قال السائل : قال رسول الله ﷺ : (يكون اختلاف عند موت خليفة ، فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة ، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ، ويبعث إليه السفياني جيشا من الشام فيخسف بهم في البيداء بين مكة والمدينة ، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه، ثم ينشأ رجل من كلب والويل لمن لم يشهد غنيمة كلب ، فيقسم المال في الناس قسمة نبيهم ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون) .

الإشكال : ما صحة هذا الحديث ؟ .

وإذا كان صحيح ، فما معنى قوله : (من أهل المدينة) . رغم أنك يا شيخ من أهل الكويت " على حسب علمنا " ، والله أعلم .

وما سبب هذا الهروب ؟ وإذا كانت البيعة في بداية الأمر لأهل مكة ، فأين الغرباء النزاع من القبائل والمؤمنين بك الآن ؟.

وإذا كان المهدي يعلم انه المهدي لماذا يخرجونه وهو مكره ؟ ، أي ما معنى الإكراه هنا ؟.

وذكرت يا شيخ في " رفع الالتباس " ، أن الخارج بمكة هو النبي صلى الله عليه وسلم ، فماذا تقصد يا شيخ بهذا الخروج ؟ اهـ .

أقول في جواب هذه الأسئلة :

لا أدري من أين أتى السائل بذكر السفياني هنا وأقحمه في لفظ حديث أم سلمة وهو ليس منه* ، وكيف يجوز له في محل التحقيق والتدقيق والاحتجاج أن يخلط ما بين الرواية لفظا ، والرواية بالمعنى ، وكان ينبغي عليه الفصل في هذا والتثبت ، ويعد هذا منه مثال حاضر على ما قررته سابقا من كثرة وقوع الخلط وتحقق اللبس في هذا الباب وغيره من أخبار الساعة بسبب هذه الزيادات التي تضاف للأخبار عن المصطفى ﷺ وهي ليست مما قال ولا ثبتت عنه ، ما يوقع التداخل والإشكال في معنى الأخبار الثابتة عنه عليه الصلاة والسلام ، يزيد الرجل من فهمه وظنه ثم تصير بعد ذلك تلك الزيادة رواية وحديثا مرفوعا إلى نبي الله تضاد ما ثبت عنه من وجه آخر وهكذا ما يربك المتلقين ويوقع في أذهانهم اللبس .

وأقرب شيء مثالا على ذلك لفظ هذا الخبر المسؤول عنه ، حديث أم سلمة ﵂ في خبر الخليفة والرجل الخارج من المدينة إلى مكة ، ومدار إسناده على

* أخذه أراه من حديث يروى عن أبي هريرة في خبر الجيش كذلك وفيه أن الباعث للجند هو السفياني ، أخرجه الحاكم في مستدركه ، وفي إحدى نسخ المستدرك المخطوطة أدخل هذا الحديث في لفظ حديث يروى عن علي ﵁ ، أفاده صاحب حاشية عقد الدرر للسلمي تحقيق (مهيب البوريني) .

قتادة ، وما يدرينا ما دُسَّ بين ثنايا هذا الحديث مما قاله قتادة أو من هو دون قتادة في هذا الإسناد .

وقد سبق أن جفل بعض أهل التحقيق من بسط وطول التفاصيل الواردة بهذا الخبر من هذا الطريق ، ومما يؤكد مخاوفهم وجود أصل الخبر في الصحيحين من غير ذكر هذه الزيادات المطولة المريبة والغريبة ، ورد بلفظ موجز جامع ، لا ذكر فيه للإكراه والأبدال وكلب وعصائب العراق والهروب ، مما هو أليق بتشدقات القصاص لا بكلام سيد البشر والذي اختصر له الكلام اختصارا ، وطوعت له مجامعه بأوجز بيان وأبلغ عبارة شاملة جامعة تغني عن التفاصيل المخلة والمضطربة .

وهذه الكلمات المستنكرة هنا هي كما قلت أنسب لسرد القصاصين مثل قولهم : أن السفياني من ولد خالد بن يزيد ، وأنه ضخم الهامة وبوجهه أثر الجدري ، وبعينه نكتة بيضاء .

وكقولهم : يؤتى السفياني في منامه فيقال له : قم فاخرج ، وانظر من على باب دارك ؟! . وما شابه ذلك من تفصيلات كاذبة أقرب للخيال منها لوحي النبوة ، أطلقها من لم يتورع عن الخوض في غيب الله تعالى ، يبتدعون من القول ما يفترون به على الله تعالى ورسوله مما يحطون به على أقوام ويزكون آخرين يتلاعبون بتلك الأخبار تلاعبا على حسب الأهواء في أزمانهم ، وعلى وفق النزاعات في تلك العصور الغابرة .

يمدحون بعض القبائل ويطعنون بآخرين على وفق ذلك ، مثل تنقصهم لقبيلة كلب في هذا الخبر المنسوب تفصيلا لأصل حديث أم سلمة ، ومثل تزكيتهم لبني تميم في حديث علي الموضوع في خبر الحارث حراث[1] ، وزيد عند نعيم بن حماد عن الحسن في وصف خلقته كذلك ، أنه : ربعة كوسج . وتشدق آخرون بالكذب فقالوا : هو مولى لبني تميم[2] .

وهذا كله من التخريف والتزييف والكذب على أمر المهدي عليه السلام أطلق فيه القصاصون ألسنتهم من غير خوف من الله تعالى .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : أحاديث الأبدال والأقطاب والأغواث والنقباء والنجباء والأوتاد ، كلها باطلة عن رسول الله ﷺ . وأقرب ما فيها : لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم البدلاء ، كلما مات رجل منهم أبدل الله مكانه رجلا آخر . ذكره أحمد ولا يصح أيضا فإنه منقطع اهـ[3] .

(1) ومن المؤسف جدا رواية الترمذي وأبو داود وأحمد لهذا الحديث ، وقد قطع بضعفه من محققي الأسانيد من المتأخرين كلا من الألباني والبستوي ، والمباركفوري وغيرهم كثير ، قال المباركفوري : والحديث ثابت من طرق أخرى عن أم سلمة وغيرها مختصرا دون قصة البيعة والأبدال وبعث كلب .. ، ولا يعتد بتصحيح من صححه كإبن القيم وغيره فهؤلاء لم يتفطنوا لعلل لفظ هذا الطريق وعلل سنده اهـ .

(2) وعن ابن الحنفية أنه (من بني تميم) . ذكره السلمي في عقد الدرر ص 194 .

(3) المنار المنيف 123 . وحديث الأبدال المشار إليه هنا رواه أحمد رحمه الله في مسنده عن علي ﷺ وفيه انقطاع شريح بن عبيد لم يُدرك عليا ﷺ .

قلت : ذهل رحمه الله تعالى عن ورود ذكر الأبدال في لفظ حديث أم سلمة المبسوط المذكور هنا ، وقد قال بصحته [4] وهو مخالف لقوله المذكور هنا .

وورود هذه اللفظة المستنكرة في لفظ الخبر المبسوط مما يقوي وضعه على رسول الله ﷺ من جهة القصاص المتوسعين في مثل هذا على ما فصلت قبل .

ومثله ذكر إكراه المهدي على البيعة وهو قول باطل كثر تناقله في أخبار المهدي ، خصوصا فيما جمعه نعيم بن حماد وغيره في أخبار الفتن عن قتادة وهو الأنسب بقوله ، ومن نسب هذا لرسول الله ﷺ فقد أخطأ خطأً بيناً ، فالمهدي لا يكون مهديا بإكراه أحد له على ذلك ، ولا مهديا بهداية غيره له في هذا الأمر ، إنما هدايته تكون من هداية الله تعالى له وتوفيقه لا يسبقه أحد لذلك وإلا لصار السابق أحق بالهداية منه لنيل هذا الوصف الذي غلب عليه حتى صار من أسمائه ، وكل من ظن أن المهدي يساق بيد هؤلاء كالكبش البهيم فهو ضال مضل ، رضي للمهدي النقيصة التي لا يمكن يرتضيها لنفسه العاقل المدرك ! ، وإنما الصحيح أنه هو من سيقودهم كقطعان غنم ضاعت بعد راعيها لا تجد من يرعاها ، وسيجمعهم بإذن الله تعالى على الهدى من بعد الضلال .

وهذا في حقيقة المهدي وكيف يكون ، أما الخارج من المدينة إلى مكة على ما ورد ذكره في حديث أم سلمة فما هو إلا المصطفى ﷺ نفسه ، حين عودته ليقوم بالشهادة على الكفار والمنافقين والمكذبين له من هذه الأمة وغيرها ، ذاك

(4) المرجع السابق (ص 132) .

حين عودته آخر الزمان في جملة من سيعود من رسل الله تعالى وأنبيائه ، فكيف يكره أو يروع حاشاه المصطفى ﷺ ، أم كيف يهدى من دون الله تعالى والعياذ بالله ، وإنما يعتقد هذا من لا يدري حقيقة الأمر ومآله .

والحديث بهذا اللفظ المبسوط رواه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم وهو حديث ضعيف بهذا اللفظ ، قطع بضعفه من محققي الأسانيد جماعة ، قال المباركفوري : الحديث ثابت من طرق أخرى عن أم سلمة وغيرها مختصرا دون قصة البيعة والأبدال وبعث كلب .. ، ولا يعتد بتصحيح من صححه كإبن القيم وغيره فهؤلاء لم يتفطنوا لعلل لفظ هذا الطريق وعلل سنده اهـ .

وهذا قول حق لا شك فيه ولا يصح رفع هذا الخبر للمصطفى عليه الصلاة والسلام لشدة الاختلاف في سنده على قتادة وهو مدلس ، وركاكة ألفاظ متنه وكثرة تفصيلاته تثبت بطلان رفعه ، على عكس ما جاء في الصحيح في خبر جيش الخسف من جزالة ألفاظه مع اختصارها ما يدل على صحته عن المصطفى عليه الصلاة والسلام ، أما حديث قتادة فالأليق به قتادة وأن يكون من كلامه كما قلت سابقا ولا يليق مثل هذا بكلام رسول الله ﷺ ولا يشبهه لكثرة تفاصيله وما ورد فيه من خبر العصب والأبدال وكلب وغير هذا مما ينافي أسلوب المصطفى عليه الصلاة والسلام بترك التصريح للتلميح .

وزيادة على ما فات تقريره ما يدل على وهن رفعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جاء من عدة طرق عن قتادة من كلامه بالإسناد ، وجاء عنه أيضا

مرسلا وهو الصحيح رواه عنه عبدالرزاق في مصنفه عن شيخه معمر وهم أعرف بحديث قتادة ولو كان ثابتا سنده عنه عن رسول الله ﷺ لبينوه بتلك الرواية وهم الأعرف بما روى مرفوعا مسندا ، أو ما رواه مرسلا غير متصل ، ومن وصله من طريق معمر لا يعتد بحفظه ، وقد اغتر من اغتر به لكثرة تداول القصاص له فظنوا صحته وليس كذلك .

وممن رواه عن قتادة موقوفا أبو هلال أخرج روايته نعيم والداني [5] وغيرهما . قال ابن حبان : أبو هلال يخطئ كثيرا . وقال أحمد : يخالف في قتادة وهو مضطرب الحديث . وقد روي عنه في هذا المعنى من غير هذا الوجه .

وليعلم القارىء أيضا أن كل ما ورد من آثار عن قتادة وغيره وفيه ذكر إكراه المهدي على البيعة والخروج لا يثبت من جهة السند ، ولا يقول بها إلا من لا يعي ويدرك في ثبوت الأخبار سندا ومتنا .

من ذلك ما روي عن ابن عباس أنه قال : يبعث الله المهدي بعد إياس حتى يقول الناس لا مهدي ، وأنصاره ناس من الشام عدتهم ثلاثمائة وخمسة عشر رجلا عدة أصحاب بدر ، يسيرون إليه من الشام حتى يستخرجونه من بطن مكة في دار عند الصفا ، فيبايعونه كرها ، فيصلي بهم ركعتين صلاة المسافر عند المقام ثم يصعد المنبر . أخرجه نعيم عن الوليد بن مسلم وهو مدلس وشيخه مجهول ، ومثله راويه عن ابن عباس .

---

(5) (1042/5) .

ومنها ما ذكر عن مُحَمَّد بن عبيدالله عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وفيه : فيبايع كرها . رواه نعيم وعنه الحاكم وسكت عنه ، قال الذهبي : سنده ساقط مُحَمَّد أظنه المصلوب . قال المباركفوري : ظنَّه مُحَمَّد بن سعيد المصلوب ، ومهما يكن الأمر فالأثر ضعيف جدا ، لأن مُحَمَّد بن عبيدالله العرزمي متروك ، والمصلوب كذبوه اهـ[6].

ومنها عن الزهري : يستخرج المهدي كارها من مكة . فيه سعيد بن يزيد وهو مجهول .

وبإسناده عن الزهري ولفظه : يخرج المهدي من مكة بعد الخسف ، فيلتقي هو وصاحب جيش السفياني فتكون الدبرة على أصحاب السفياني ، فيخرج المهدي إلى الشام فيتلقى السفياني المهدي بالبيعة ويتسارع الناس إليه من كل وجه .

وكلها آثار لا تثبت من جهة السند ، والعمدة ما روي في الصحيح عن أم سلمة في خبر جيش الخسف .

أما بخصوص قول السائل : فما معنى قوله : (من أهل المدينة) اهـ . فهذا معناه على افتراض صحته عودة المصطفى ﷺ ليشهد على البشرية جمعاء ويقيم الله تعالى معه من يصدقه من رسل الله وأنبيائه وأنه كان صادقا مبعوث رحمة من الله تعالى ، ليخزي المولى عز وجل كل من كذبه ويظهر دينه على جميع الأديان .

(6) حاشية الداني (1045/5) .

وكما هو مقدر له على ما تقرر في أصول الدعوة المهدية دعوة الحق ، أن خروجه سيكون ابتداؤه من المدينة مقر إقامته السابقة ، وسيعلن ظهوره العظيم من قداسة الكعبة المشرفة ، وإلى ذلك ترمي الآية قوله تعالى : ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴾ .

وكذلك قوله عز وجل : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقاءه ﴾ . أي من لقاء تأويله وهو مما يقع آخر الزمان ، ومن تأويله لقاؤه موسى نبي الله ورسوله عليه السلام فيمن يلقى من رسل الله وأنبيائه تصديقا لوعده سبحانه في نصرة رسله ، وذلك يوم يقوم الأشهاد .

وفي خاتمة هذا الفصل أقول لهذا السائل : إذا عرفت ما سبق تقريره وأيقنته علمت حينها وجه ما كان في عقيدتك من خلط وعدم تمييز ما بين بعث المهدي اللحيدي عليه السلام ، وبعث المصطفى ﷺ ثانية ، فالأول يمهد لعودة رسول الله ﷺ وجعل له علامات يعرف بها عينه وزمنه ومن أظهرها تواتر الزلازل واختلافات الناس وانبعاث الدخان الذي يسد ما بين الخافقين نص عليه كتاب ربنا عز وجل علامة لمهديه وخليفته المبين ، وقد وصفه في تلك الآيات بـ(المعلَّم) وهو الوصف الذي لم يعرف أحد أنه من أوصاف المهدي عليه السلام ولم يعتقدوا استحقاقه له مع أن الله تعالى ذكره بالقرآن الكريم وهذا من أظهر الأدلة وأبينها على مدى ضلال الناس في أمره ، وجهلهم في معرفة حقيقة ما دل عليه من أخباره .

وللمصطفى في عودته ثانية علامات كذلك يعرف بها عينه وزمنه ومن أظهرها موت خليفة الله تعالى ونشوء الخلاف بعده والاضطرابات ، على حسب ما ورد بهذا الخبر الضعيف ، وبخبر جيش الخسف في الصحيحين ، فهذا الخسف بذاك الجيش من أظهر علامات عودة رسول الله ﷺ وقرب عودة المسيح عليه السلام ومن معه من رسل الله صلى الله عليهم وسلم جميعا .